

السيرة النبوية للبراعم

(٢٩)

مَكْرٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ!!

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

أَهْلًا بِالْمُهَاجِرِينَ فِي الْمَدِينَةِ

وَهَكَذَا يَا أَحِبَّتِي الْبِرَاعِمَ رَاحَ الْمُسْلِمُونَ
يَتَوَافِدُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، مِنْهُمْ مَنْ كَانَ
يُهَاجِرُ وَحْدَهُ سِرًّا ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ مَعَهُ
الرُّوْجَةَ وَالْأَوْلَادَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَعَاهَدُ عَلَى
السَّفَرِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ .. ، وَهَكَذَا .

لَكِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ هُوَ الرَّجُلُ الْوَحِيدُ
الَّذِي هَاجَرَ عَلَنًا!

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ عُمَرُ
بِالْهَجْرَةِ ، تَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، وَانْتَضَى

فِي يَدِهِ أَسْهُمًا ، وَحَمَلَ عَصَاهُ ، وَمَضَى نَحْوَ
الْكَعْبَةِ .

وَبَيْنَمَا كِبَارُ قُرَيْشٍ يَجْلِسُونَ فِي الْبَيْتِ
الْحَرَامِ ؛ إِذْ دَخَلَ عُمَرُ فَطَافَ فِي الْبَيْتِ سَبْعًا
مُتَمَكِّنًا مُطْمَئِنًّا ، ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ نَظَرَ
إِلَى زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ ، وَقَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، لَا
يُرْغَمُ اللَّهُ إِلَّا هَذِهِ الْمَعَاطِسَ .

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُثْكَلَ أُمَّهُ ، أَوْ يُوتِمَ - أَي : يَجْعَلَهُ
يَتِيمًا - وَوَلَدَهُ ، أَوْ يُزْمَلَ زَوْجَتَهُ ؛ فَلْيَلْقِنِي وَرَاءَ
هَذَا الْوَادِي!!

قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَحَدٌ .
وَفِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ كَانَ الْأَنْصَارُ كُرَمَاءَ مَعَ
الْمُهَاجِرِينَ إِلَى حَدِّ عَجِيبٍ .
فَقَدْ فَتَحُوا بُيُوتَهُمْ ، وَقَسَمُوا بِسَاتِينَهُمْ ،

وَقَدَّمُوا كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ لِأَخْوَاتِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ ،
وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَسْمَعُونَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ
الْأَنْصَارِ :

أَهْلًا بِكُمْ فِي بَلَدِكُمُ الثَّانِي ، أَنْتُمْ ضُيُوفُنَا ،
وَإِخْوَانُنَا ، حَلَلْتُمْ أَهْلًا ، وَنَزَلْتُمْ سَهْلًا .

* * *

لَكِنْ : مَتَى سَيُهَاجِرُ الْمُصْطَفَى ﷺ ؟

وَمَا هِيَ إِلَّا عِدَّةُ أَيَّامٍ حَتَّى خَلَّتْ كَثِيرٌ مِنْ
بُيُوتَاتِ مَكَّةَ ، حَيْثُ تَرَكَهَا الْمُهَاجِرُونَ وَانْطَلَقُوا
إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

وَلَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ إِلَّا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
وَبَعْضُ الْعَبِيدِ الَّذِينَ مَنَعَهُمْ سَادَاتُهُمْ مِنْ
الهِجْرَةِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُلِحُّ عَلَى
الرَّسُولِ لِكَيْ يَأْذَنَ لَهُ بِالهِجْرَةِ ، وَكَانَ الرَّسُولُ

يَقُولُ لَهُ : « عَلَي رِسَالِكَ ، لَا تَعْجَلْ ! لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ
لَكَ صَاحِبًا » .

فَفَهِمَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَرْغَبُ فِي أَنْ
يَكُونَ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبَهُ فِي الْهَجْرَةِ ، لِذَلِكَ اشْتَرَى
رَاحِلَتَيْنِ ، وَرَاحَ يَغْلِفُهُمَا وَيُجَهِّزُهُمَا مِنْ أَجْلِ
الرُّحْلَةِ .

* * *

مَكْرٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ!!

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ تَرَكَوا مَكَّةَ ،
وَقَدْ أَخَذُوا مَعَهُمُ الزَّوْجَاتِ وَالْأَوْلَادِ ؛ أَيْقَنُوا : أَنَّ
الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ سَتُصْبِحُ عَاصِمَةَ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، وَسَيَكُونُ لِلرَّسُولِ وَمَنْ مَعَهُ قُوَّةٌ
تُهَدِّدُ كِيَانَ قُرَيْشٍ!

فَتَدَاعَى الرُّعَمَاءُ ، وَالْأَكَابِرُ إِلَى اجْتِمَاعِ
طَارِيءٍ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الَّذِينَ
حَضَرُوا الْاجْتِمَاعَ : أَبُو جَهْلٍ ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي
الْعَاصِ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي
مُعَيْطٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَأَبُو لَهَبٍ ، وَغَيْرُهُمْ ،

وَهُمُ الَّذِينَ أَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ مُصْطَلَحًا يَنْطَبِقُ
عَلَيْهِمْ تَمَامًا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَلَوْا آيَةً
الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وَرَاخَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَيْمَةِ الْكُفْرِ يُبْدِي رَأْيًا ،
وَيَقْتَرِحُ اقْتِرَاحًا لِدَلِّكَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : احْبِسُوا
مُحَمَّدًا فِي الْحَدِيدِ ، وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ ، ثُمَّ
تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ
كَانُوا قَبْلَهُ ، زُهَيْرٍ ، وَالنَّابِغَةِ ، وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ
مِنْ هَذَا الْمَوْتِ ، حَتَّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ !

وَقَالَ آخَرُ : بَلْ نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا فَنَنْفِيَهُ
مِنْ بِلَادِنَا ، فَإِذَا أُخْرِجَ عَنَّا فَوَاللَّهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ
ذَهَبَ ، وَلَا حَيْثُ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنَّا ، وَفَرَعْنَا مِنْهُ
فَاصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأُلْفَتْنَا كَمَا كَانَتْ !

(١) سورة التوبة : ١٢ .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ - وَقَدْ انْتَقَدَ كُلَّ الْأَرَاءِ السَّابِقَةِ
 - : أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا فَتَى جَلْدًا
 نَسِيبًا وَسَيْطًا فِينَا ، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَتَى مِنْهُمْ سَيْفًا
 صَارِمًا ، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً
 رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ فَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ
 فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا ، فَلَمْ
 يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا!!

لَكِنْ مَا فَائِدَةُ ذَلِكَ الْمَكْرُ يَا صِنَادِيْدَ قُرَيْشٍ ؟
 لَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ
 خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ (١) .

(١) سورة الأنفال : ٣٠ .

الإذْنُ الإِلَهِيُّ لِلْمَفْصُومِ ﷺ بِالهِجْرَةِ

وَجَاءَ الإِذْنُ الإِلَهِيُّ لِلرَّسُولِ صَلَوَاتِ اللَّهِ
وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ،
فَقَالَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ
وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا ﴾ (١) .

وَذَاتَ لَيْلَةٍ هَمَسَ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي أُذُنِ أَبِي
بَكْرٍ قَائِلًا : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ
وَالهِجْرَةِ » .

(١) سورة الإسراء : ٨٠ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!
فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الصُّحْبَةُ » .
فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! إِنَّ هَاتَيْنِ رَاِحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا
لِهَذَا .

* * *

لَا تَبْتَ عَلَى فِرَاشِكَ يَا مُهَمَّدُ!!

وَلَمَّا كَانَ مَوْعِدُ تَنْفِيزِ الْمُوَامَرَةِ ، هَبَطَ الْأَمِينُ
جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : لَا
تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِينُ
عَلَيْهِ .

فَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ
لَهُ : « نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْزِي هَذَا
الْأَخْضَرَ ، فَنَمْ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ
مَا تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ » .

وَبِالْفِعْلِ ، نَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى فِرَاشِ

رَسُولِ اللَّهِ ، وَبَاتُوا وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ خَارِجَ الْبَيْتِ ،
وَقَدْ طَوَّقُوهُ بِالشَّبَابِ .

وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْبَابِ ،
فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ رَاحَ يَنْثُرُ ذَلِكَ
عَلَيْهِمْ ، فَأَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا
يَرُونَهُ ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ
وَهُوَ يَنْثُرُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿يَس ۝١﴾ وَالْقُرْآنِ
الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ
غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ
مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا
فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ (١) .

(١) سورة يس : ١-٩ .

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى - إِلَّا وَقَدْ
وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا!

وَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الْبَابِ دُونَ أَنْ يَرَوْهُ ،
وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مِنْ ذَلِكَ أَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ لَهُمْ : مَا
تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا ؟! قَالُوا : مُحَمَّدًا .

قَالَ : خَيَّبَكُمْ اللَّهُ ، لَقَدْ خَرَجَ وَتَرَكَ عَلَى رَأْسِ
كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ التُّرَابَ ، فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ
عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ ، ثُمَّ دَقَّقُوا النَّظَرَ
فَأَيَّقَنُوا : أَنَّ ذَلِكَ النَّائِمَ عَلَى الْفِرَاشِ لَيْسَ
رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا هُوَ عَلِيٌّ مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَهَذَا يَا أَحِبَّتِي الْبَرَاعِمَ يُذَكِّرُنَا بِقَوْلِ
الشَّاعِرِ :

وَإِذَا الْعِنَايَةُ لَأَحْظَتَكَ عُيُونُهَا
نَمْ فَالْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ
وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *